**-التمهيد-**

**الاتساع في المعنى ظاهرة لغوية تميزت بها اللغة العربية اكثر من سائر اللغات الاخرى نظراً لطبيعتها ولما فضلها به الله سبحانه وتعالى بان جعلها لغة القرآن الكريم ولذلك فقد وجدت هذه الظاهرة في كتب المفسرين للقرآن الكريم ومن بينهم تفسير ابي السعود والمسمى ارشاد العقل السليم، لذا نعرف بهذا العالم الجليل بشيء قليل مما علمناه عنه ومهما قلنا عنه فهو يستحق أكثر لما وجدناه من فيض علمه في تفسيره الجامع لكثير من الظواهر اللغوية يضاف الى ذلك المعاني والاعراب والقراءات ونقل الاقوال والاحاديث وغيرها.**

* **اسمه وكنيته ونسبه:-**

**اسمه/ هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، وقيل اسمه (أحمد) والأول هو المشهور(1).**

**ويكنّى بأبي السعود، ويلقب ايضاً ب(شيخ الإسلام)، و(مفتي التخت السلطاني) و(مفتي الدهر)، و(مفتي الثقلين) والشائع عنه كنيته بأبي السعود(2).**

**أما نسبه: فهو العمادي، والآمدي، والأسكلبي نسبة الى قرية أسكليب وهي قرب القسطنطينية(3).**

**ان هذه النسب هي حصيلة اشهر الاقوال التي قيلت فيه.**

* **مولده ونشأته:-**

**ولد أبو السعود في قرية (أسكليب) وبها لقب وهي بالقرب من القسطنطينية من**

1. ينظر هدية العارفين: 2/253، وتاريخ النور السافر: 241، والعقد المنظوم: 440
2. ينظر ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا: 2/275، والكواكب السائرة: 3/35
3. ينظر هدية العارفين: 2/253، والعقد المنظوم: 440، والاعلام: 7/288، والبدر الطالع: 1/260

**خواص أوقاف الزاوية التي بناها السلطان (بايزيد خان) لوالد أبي السعود(1).**

**نشأ في اكناف عائلته التي عرفت بالعلم والتقوى والورع في القرية ذاتها، وكان ميلاده سنة (ثمان وتسعين وثمان مئة) للهجرة(2)، وقد تتلمذ على يد أبيه الذي كان من علماء عصره فأخذ من مختلف العلوم والفنون بالدرس والقراءة على علماء عصره فأحاط بقسم كبير منها، وقد كان والده من تلاميذ الشيوخ فقد طلب العلم على يد العلامة (علاء الدين علي بن محمد القوشجي ت 879ھ) وبعض علماء عصره وظهر عليه الطابع الصوفي. وصار أحد العلماء النادرين وقد الف في ذلك (رسالة في أحوال السلوك في التصوف) وتوفي سنة (920ھ)، وكان لابي السعود ثلاثة اولاد اكبرهم (أحمد) والثاني (محمد) والثالث (مصطفى)(3).**

* **مكانته الاجتماعية:-**

**لقد حظي ابو السعود بتقدير السلاطين والملوك وعامة الشعب لما تمتع به من شخصية منفردة عن غيره، وأخلاق فاضلة فقد كان السلطان (سليمان خان) يكن له فائق المودة والمحبة حتى أنه أوصى بعد مماته ابنه السلطان (سليم خان) ليعتني به(4)، لذا قيل عنه انه: "لم يزل في عِزةٍ الى أن مات رحمه الله تعالى"(5)، وقد وصل الى الذروة فتحدث عنه الرواة والكتاب فقال عنه (علي**

1. ينظر العقد المنظوم: 440، والشقائق النعمانية: 206، وتاريخ النور السافر: 2390
2. ينظر الاعلام: 7/288
3. ينظر تاريخ النور السافر: 239، والعقد المنظوم: 363
4. ينظر الاعلام: 7/288، والفوائد البهية: 81، وكشف الظنون: 1/67، وتفسير ابي السعود: 1/630
5. تاريخ النور السافر: 241

**بن لالي بالي): "وكان رحمه الله تعالى ذا مهابة عظيمة وتؤدة جسيمة قلما يقع في مجالسه للعظام المبادرة بالخطاب والكلام"(1).**

**وتتسم شخصيته بسمات جليلة فهو كثير التقرب الى الله وشكره واستغفاره كما انه تميز بايمانه الراسخ والتمسك بمنهج الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واتسم ايضاً بالتواضع وهو من صفات المؤمن العابد فقد ابدى اعجابه بمن سبقه من المفسرين في مقدمة تفسيره فهو يقول عنهم "ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته –أي القرآن الكريم- أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار....فنظموا فرائده في سلك التحرير. وأبرزوا فوائده في معرض التقرير. وصنفوا كتباً جليلة الاقدار. وألفوا زبراً جميلة الآثار"(2).**

* **مكانته العلمية:-**

**إنّ ابا السعود إمام في تفسير القرآن الكريم وهذا ما يشهد به تفسيره البليغ وفضلاً على ذلك فهو ذو معرفة بمختلف انواع علوم عصره وهو على دراية**

**شاملة بالعلوم التي عدها العلماء أدوات لفهم كتاب الله عز وجل كالنحو واللغة والبلاغة والصرف والأدب وعلوم القرآن من علم القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وكذلك أصول الفقه والحديث النبوي الشريف وغير ذلك، وقد كان ابو السعود قريباً من هذه العلوم لذلك كان بارعاً في مجال التفسير، وقيل انه كان ينظم الشعر بثلاث لغات العربية والتركية والفارسية وكان يجيب**

1. العقد المنظوم: 445
2. تفسير ابي السعود: 1/3-4

**السائل بحسب سؤاله فإن سأل شعراً أجاب شعراً وإن نثراً فنثر وباللغات الثلاث(1).**

**وقد شهد له العلماء لما توصل اليه من مكانة علمية وثقافية عالية، فقال عنه الامام الشوكاني –رحمه الله- "إنه برع في جميع الفنون وفاق الاقران"(2) ومثل ذلك قال عنه الكثير(3).**

* **شيوخه:-**

**وفي مقدمتهم والده: محمد بن مصطفى العمادي، المتوفّى سنة 92ھ، ومن شيوخه ايضاً الذين أخذ عنهم العلم: عبد الرحمن بن علي الحنفي المعروف ب(ابن المؤيد) المتوفّى سنة 922ھ، وسيدي محمد بن محمد القرماني المتوفي سنة 923ھ، وآخرون(4).**

* **تلامذته:-**

**وقد تتلمذ على يده عدد غير قليل من العلماء منهم:-**

**محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم الحنفي المعروف ب(عبد الكريم زادة) وعبد الرحمن جمال الدين الحنفي، وحسن بن سنان، وحسن بن يوسف الحمداني، ومحيي الدين المعروف ب(بنكساري زادة) وهو صهر ابي السعود، ومحمد بن أحمد المعروف ب(ابن بزن)، وأعلى حسن، ومحمد بن الحسن الجنابي، وغيرهم(5).**

1. ينظر العقد المنظوم: 440، والكواكب السائرة: 3/35
2. البدر الطالع: 1/261
3. ينظر العقد المنظوم: 443، وتاريخ النور السافر: 239
4. ينظر علل التعبير القرآني في تفسير ابي السعود رسالة ماجستير: 12
5. ينظر الاعلام: 7/176، وشذرات الذهب: 8/379، 380، والشقائق النعمانية: 384، والكواكب السائرة: 3/55، 142، وابو السعود ومنهجه في التفسير رسالة ماجستير: 47
* **آثاره العلمية ومؤلفاته:-**

**له مؤلفات كثيرة نذكر بعضاً منها:-**

**ففي التفسير إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ويسمى (تفسير ابي السعود).**

**وفي الفقه واصوله موقف العقول في وقف المنقول، وغمرات المليح(1)، وغيرهما.**

**وله ايضا مؤلفات في القضاء والقانون كقانون المعاملات وبضاعة القاضي في الصكوك(2)، ومن آثاره الادبية (القصيدة الميمية)، ومن مؤلفاته الاخرى:-**

**تحفة الطلاب في المناظرة، ورسالة في الأدعية المأثورة، وقصة هاروت وماروت، وغلطات العوام(3).**

* **وفاته:-**

**توفي العلامة أبو السعود رحمه تعالى "مفتياً بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد، خامس جمادى الاولى سنة 982ھ"(4)، وهو الراجح بين تعدد الاقوال في وفاته فمنهم من قال إنها سنة (952)(5) وثبت توهمه وقيل انها (983) وثبت وهم الناسخ في نقلها(6).**

1. ينظر هدية العارفين: 2/254
2. ينظر علل التعبير القرآني في تفسيرابي السعود رسالة ماجستير: 16
3. ينظر الاعلام: 7/288، ودائرة المعارف: 4/342، ومعجم المؤلفين: 11/304، وهدية العارفين: 2/254
4. العقد المنظوم: 443، وينظر الكواكب السائرة: 3/36، وكشف الظنون: 1/67
5. ينظر تاريخ النور السافر: 239
6. ينظر كشف الظنون: 1/65، 247، 298، 498، 665

**وقيل إنه توفي سنة 973ھ(1)، يضاف الى ذلك ان بعض طبعات الكتاب مكتوب عليها انه توفي 952ھ واخرى 951ھ(2).**

**ولقد رثاه أحد أصحابه بقصيدة طويلة مطلعها:**

 **"هيهات للأفلاك يأتي مثله ولو انها دارت مدى الأحقاب**

 **يرجى له عند الإله بطول ما خدم الورى زلفى وحسن مآب**

 **يارب روّح روحه بسعادة وكرامة في جنة وشراب"(3)**

**وقيل إنه أنشد قبيل موته بساعة هذين البيتين:**

 **"ألم تر أن الدهر يوم وليلة يكران من سبت جديد إلى سبت**

 **فقل لجديد الثوب: لابد من بلى وقل لاجتماع الشمل: لابد من شتى"(4)**

**وذكر أنه قد "أُتي نعيه إلى الحرم ونودي بالصلاة عليه من أعلى زمزم، وصلى عليه صلاة الغائب، ورثاه جماعة من أهل مكة"(5)، وهذا يدل على فضله ومكانته رحمه الله تعالى.**

* **اسلوب الكتاب:-**

**ارشاد العقل السليم لابي السعود كشف فيه عن أسرار البلاغة القرآنية، وهو يذكر أنه قرأ تفسير الكشاف والبيضاوي قبل الشروع في تفسيره، وهو يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية وهذا يدل على معرفته بدقائق اللغة**

1. ينظر دلالة السياق منهج مأمون في تفسير القرآن: 42
2. ينظر علل التعبير القرآني رسالة ماجستير: 17
3. العقد المنظوم: 453
4. تراجم الاعيان من أنباء الزمان: 1/244
5. تاريخ النور السافر: 241

**العربية، وله باع طويل في إبداء وجوه المناسبات بين الآيات(1).**

**ويعد تفسيره من التفاسير البيانية التي اهتمت بالكشف عن مواطن اعجاز القرآن الكريم وبلاغته، وقد كان أبو السعود يفسر القرآن بالرأي حيناً وبالمأثور حيناً آخر(2)، على مذهب النعمان(3). وقد اهدى تفسيره الى السلطان (سليمان خان) الذي وصفه بأجل الصفات في مقدمة تفسيره، والى السلطان (سليم خان) والسلطان (با يزيد خان)، وقد ذكر ايضاً انه استغرق وقتاً طويلاً لانجاز هذا العمل وذلك لانشغاله بامور قضاء البلاد فهو يصف نفسه (كالهارب من المطر الى السيول)(4).**

**وقد بين في مقدمة كتابه ان الغاية من خلق الله للبشر والمعجزة التي منها كتابه الجليل القرآن الكريم هي معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد، والسبيل لفهم تلك الغاية هي الوقوف على مواقف التنزيل، والتنبيه لتلك الاشارات السرية، والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية بما تحمل من أسرار القضاء والقدر وكنوز العبر مما لا يطيق به عقول البشر(5)، فهو يؤكد على أهمية المعنى لفهم الكتاب الكريم ولهذا السبب قد تعددت كتب التفسير فالمتقدمون وضعوا منهجاً للتفسير والمتأخرون تابعوهم بزيادة على ذلك المنهج لذا يقول ابو السعود: "أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام. حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام، وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائعة. وابداء خباياه الفائقة ليعاين الناس**

1. ينظر دلالة السياق منهج مأمون في تفسير القرآن: 42
2. ينظر كشف الظنون: 2/1480
3. ينظر المصدر نفسه: 1/67، وتفسير ابي السعود: 1/630
4. ينظر تفسير ابي السعود: 1/5
5. ينظر المصدر نفسه: 1/3-4

**دلائل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية..."(1).**

**فهذا يدل على الاتساع في المعنى في كتب المفسرين بين القديم والحديث تبعاً لطبيعة اللغة العربية المتطورة، ونظراً لما تحمله الكلمات القرآنية من اسرار دفينة، وتوسيع الأذهان والعقول البشرية لفهم الآيات الربانية.**

**وقد اعتمد في تفسيره على تفسيرين جليلين من المفسرين المتأخرين الذَين ذكرهما وهما (الكشاف وأنوار التنزيل) فقد خصهما بالذكر والوصف الرائع في مقدمة كتابه(2)، وصرح بانه قد أضاف الى ما خصه منهما بالدراسة ما وجده في تضاعيف بعض الكتب التي استعان بها لاتمام هذا العمل الرائع فهو يقول: "وأضيف اليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق. وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل"(3).**

**إنَّ ابا السعود يبدأ بتفسير السورة من اولها ذاكراً معاني الكلمات، ناقلاً لبعض الاقوال مبيناً اوجه الاعراب مرجحاً بين هذه وتلك اوضحها لسياق المعنى ومناسباً بين الايات ومنتهياً باروع نهاية قولاً شريفاً مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً لأهمية تلك السورة في حياة البشر والمعمورة.**

**وما لنا الا ان نقول راجين من الله المغفرة والتوبة المغمورة برحمته تعالى ان ابا السعود قد افادنا بذلك فائدة موفورة ونسأل الله الرحمة له ولنا في الدارين الدنيا والآخرة المرجوة.**

1. المصدر السابق: 1/4
2. ينظر المصدر نفسه: 1/4
3. المصدر نفسه